الدكتور سمير سرحان

شاهد على عصر مضطرب رائع

تاريخ التسجيل ١٩٩٠

obeikan.com

★ أنا من جيل ثورة يوليو ولولا مجانية التعليم ما تعلمت !

★ التليفزيون .. آه من التليفزيون !

★ عصر الشعوب لا الزعامات ..

★ أزمة المثقفين والسلطة .

obeikandl.com

شاهدنا على العصر اليوم هو أحد رموز مصر الثقافية ، ولايمكن أن يغفله مراقب إذا ما حاول أى عملية مسح للوجه الثقافى والحضارى لمصر المعاصرة . . وهو مبدع وناقد فى آن واحد ، كما أنه يجلس على إحدى قممنا المصرية الثقافية الشامخة التى تعكس كل ما يتجمع فيها من إبداع فكرى . له مواقف مشهورة استطاع أن يبرز وجه مصر الحضارى ، كما استطاع أن يؤكد أن ثقافة مصر لها أصالتها وعظمتها التى تمتنع على أى مدع أو تاجر، لنا معه حوار نسجل فيه شهادته على عصرنا . . وياله من عصر . . !

●●● رؤية عامة لأهم الظواهر :

● تعودنا أن يبدأ شاهد العصر برؤية عامة يرصد فيها أهم الظواهر فماذا فى رؤيتك العامة ؟

ـ والله أنا من جيل شهد عصراً من أخصب وأروع العصور الحديثة التى مرت بها البشرية وأكثرها تناقضاً أيضاً ، أنا من جيل ثورة ٢٣ يوليو . . والجيل الذى نشأت فيه هو جيل شهد ثلاثة حروب ، هزمنا مرتين

وانتصرنا مرة ، هو جيل شهد على المستوى العالمى انقلاباً بين حرب فيتنام فى أمريكا عندما كنت أدرس هناك ، وثورة الشباب فى فرنسا ، وتطوراً عالمياً نشهد الآن نتائجه ، كانت أهم ملامحه سقوط بعض النظريات الجامدة وبعض المسلمات التى عاشت عليها البشرية أعواماً طويلة ، وبحث الإنسان عن الحرية وعودته إلى أحضان الدين وأحضان العقيدة وأحضان السلام الاجتماعى والفردى ، عصر تميز بشىء خطير جداً وهو مايسمى بالثورة الصناعية الثانية أو الثورة التكنولوجية . . بمعنى أن البشرية شهدت ثورتين صناعيتين ، الثورة الأولى كانت فى القرن التاسع عشر وقامت باختراع الآلة البخارية ، والثورة الثانية قامت فى الستينيات أو أواخر الخمسينيات من هذا القرن وسميت الثورة التكنولوجية . . لأنها قامت باختراع الكمبيوتر ، وأصبح لدينا عصر يسمى بعصر تدفق المعلومات وعصر الثورة الإلكترونية والتى أصبح الإنسان يتقدم فيه بمقدار ٨٠٠ سنة كل يوم عما كان يتقدم عليه فى الماضى كل قرن من الزمان ، فإذن نحن فى عصر تقدم علمى مذهل ، نحن فى عصر مضطرب ، عصر الحروب الصغيرة ، العصر الذى بدأ بحرب باردة بين القطبين العظيمين أو ظهور الدولة العظمى ، وينتهى الآن برفض هذه المسلمات وإعادة تقييمها والتقارب بين الشعوب والتقارب بين الأيديولوجيات لمصلحة التقدم العلمى وليس لمصلحة العقيدة الأيدلوجية أو الجمود الفكرى أو الذهنى ، أصبح العالم الاشتراكى يقترب من العالم الرأسمالى والعالم الرأسمالى يقترب من العالم

الاشتراكى ، والأيديولوجيات الجامدة للماضى تتصالح فى سبيل فكرة التقدم ، لأنه لاحياة لأى شعب من الشعوب أو لأى دولة من الدول دون اعتناق فكرة التقدم ، وفكرة التقدم هنا لها معنيان ؛ التقدم العلمى والاستقلال القومى والفردى فى مواجهة مايسمى بالاستعمار الجديد والاستعمار التكنولوجى ، وكان الاستعمار فى الماضى بالجيوش وينهب الاقتصاد ؛ أى استعمار مادى ، الآن هو استعمار تكنولوجى ، الدولة التى تمتلك التكنولوجيا والمعلومات وتمتلك حريتها وإنتاجها وتمتلك قدرتها على أن تنمى مواردها الذاتية هى الدولة التى سوف تعيش فى المستقبل ، ومن هنا نواجه نحن فى العالم الثالث فى عصرنا هذا التحدى المرعب ، تحدى الاستعمار التكنولوجى لأننا لانصنع تكنولوجيتنا إنما نستوردها ، ونحن لانعتمد ذاتياً على إنتاجنا إنما نعتمد على الآخرين ، ولابد لكى نعيش عصرنا أن نعتنق هذه الثورة التكنولوجية ، وأن ننمى مواردنا ، وأن نعتمد على استقلالنا الذاتى حتى نحقق حريتنا ، فالحرية الآن هى حرية الاقتصاد وليست حرية التحرر من الاستعمار التقليدى .

● **هذه التغيرات التى ذكرها د. سمير سرحان ورصدها سريعاً فى عناوين رئيسية أعتقد أننا لابد وأن نتعرض لها بالتفصيل فى ثنايا هذا الحوار ، لكن هى حقائق طرحت نفسها على ساحة العصر ، هى حقائق العصر الذى نعيشه الآن .**

ـ طبعاً ، وطبعاً هناك حقيقة ضخمة جداً أو لافتة ضخمة لابد وأن نتوقف عندها ، وهى أن هذا العصر لم يعد عصر الزعامات الكبيرة إنما

هو عصر الشعوب ، أى أن الشعوب بدأت تأخذ مصيرها بيدها وتشكل نظامها الاقتصادى والاجتماعى ومعتقداتها وممارستها الاجتماعية فلم نعد فى عصر ستالين ولا عصر لينين .

●●● الشعوب ورغبة عارمة نحو التحرر :

● ومع د . سمير سرحان مازال يظهر هنا وهناك رجال يغيّرون مثل جورباتشوف ، . يعنى يمكن جزء كبير أو عنصر أساسى فى التغيرات التى رصدتها فى رؤيتك العامة ؛ سقوط النظريات الجامدة وظهور عملية «البريسترويكا» و«الجلاسنوست» وكانت هذه على يدى جورباتشوف فهل مازال دور الفرد مؤثراً فى العالم ؟

ـ أنا رأيى أن وراء جورباتشوف رغبة عارمة لدى الشعوب لكى تسقط المسلمات القديمة وتعتنق فكراً جديداً أو تدخل فى تجربة جديدة، لأن البريسترويكا هى فى النهاية رغبة نحو التحرر ، نحو الحرية ، نحو إعادة البناء ، رغبة شعبية فإذا لم تلاق تجاوباً شعبياً ضخماً جداً ما كان الفرد هنا سواء جورباتشوف أو غيره استطاع أن ينجح .

● بدليل تجاوب بقية الشعوب المجاورة للاتحاد السوفيتى وسقوط أنظمة كثيرة ؟

ـ ثم أريد أن أقول شيئاً ، العملية ليست فقط تحولاً فى العالم الاشتراكى فى عصرنا ، إنما هى أيضاً تحول فى العالم الرأسمالى ، لأن العالم

الرأسمالى يقترب حثيثاً أيضاً نحو الاشتراكية ، بمعنى تأمين الفرد ضد البطالة ، بمعنى نظام تأمين العلاج الصحى مثلاً ، بمعنى المؤسسات الخدمية الكبرى التى تمتلكها الدولة ، وأهم مافى ذلك تأمين الفرد اقتصادياً ضد البطالة وضد الفقر والمرض ، فالرأسمالية ليست كلها اقتصاداً حراً إنما الدولة تتدخل فى الوقت المناسب لكى تؤمن للفرد حياته واقتصاده وبالتالى تؤمن حريته وكل هذا فى النهاية يندرج تحت مزيد من الديمقراطية .

● أستاذ دكتور سمير سرحان لو رصدنا سريعاً حركة التاريخ فى السنوات الأخيرة من خلال رؤيتك نقول إنها حركة تنزع إلى التحرر والديمقراطية وتغليب عنصر المصلحة العامة للشعب على الأيديولوجيات والمذاهب ؟

- صحيح ، لأنه إذا كان التاريخ السياسى الإنسانى بدأ بالديمقراطية الأثينية فهو ينتهى الآن فى عصرنا بالديمقراطية العالمية . والديمقراطية هى حكم الشعب للشعب ، ومرت البشرية بين الديمقراطيتين الأثينية والحالية بتجارب عديدة أنضجتها حتى أصبحت الآن تؤمن بأن حرية الفرد أو حرية المجتمع لا تأتى إلا من خلال الديمقراطية ، وحرية الفرد لابد وأن تكون مؤمنة بحرية الاقتصاد والاستقلال ، والآن هو استقلال الأمة أو الشعب ضد الاستعمار التكولوجى .

●●● مصر جزء لايتجزأ من المشهد الدولى :

● ولو انتقلنا من العالمية إلى المحلية فأين موقع مصر فى شهادتك فى هذه الجزئية وهذه الرؤية العامة أيضاً ؟

ـ مصر جزء لايتجزأ من العالم ، جزء لايتجزأ من الإنسانية ، ومصر على مدى تاريخها ـ ساهمت إسهاماً ضخماً فى تشكيل وجدان الإنسانية وتشكيل فكرها وتشكيل تاريخها الحضارى ، ولذلك فإن تجربة الديمقراطية التى نشهدها الآن هى جزء لايتجزأ من المشهد الدولى . لم نستطع أن ننفصل عن المشهد العالمى الذى ينشد الديمقراطية وينشد حرية الفرد وينشد أيضاً التقدم العلمى وسقوط المسلمات . فنحن الآن دولة ، لم نعد جزيرة منعزلة فى العالم العربى . . وأنا أعتقد أن التجربة الديمقراطية سوف تكون تجربة معدية، بمعنى أنها سوف تتوج العالم العربى كله . الاستقلال فى الماضى كان يعنى الاستقلال عن الاستعمار، وخاصة الاستعمار الإنجليزى ، ثم عندما حدث الاستقلال بدأنا ننشد ماسمى بالوحدة العربية والتجربة الاشتراكية، التى مررنا بها ، وهذا ما جعل من هذا الجيل جيلاً مضطرباً لأنه مر بمراحل سريعة متلاحقة . . الاشتراكية على النمط الاشتراكى بمعنى ملكية الدولة لوسائل الإنتاج ، ومعنى مسئولية الدولة عن الفرد فى تشغيله وتوظيفه وفى رعايته الصحية، فى تعيينه ، حتى فى الترفيه عنه ، ووصل الأمر إلى أن الدولة أصبحت تبيع قوته اليومى وأصبحت الدولة هى المالكة لكل وسائل الإنتاج . ثم

دخلنا فى مرحلة مابعد سنة ١٩٧٣ سميت بمرحلة الانفتاح وهذه المرحلة كانت لها أخطاؤها الفادحة ولكنها أيضاً كانت لها إيجابياتها الكثيرة لأنها شجعت الحافز الفردى وشجعت دخول القطاع الخاص كشريك فى عملية الإنتاج مع القطاع العام ، حدثت تجاوزات ولاشك لأن كل فترة فيها فلسفة جديدة يحدث أيضاً فيها تجاوزات كثيرة ، وفتح الباب للفرد للتعبير عن رأيه من خلال مؤسسات منظمة ، بدأت بما يسمى بالمنابر ثم تطورت بعد ذلك إلى الأحزاب الموجودة حالياً ، لكن الفكرة كانت كفالة حرية التعبير ، حرية القول للمواطن أى أن المجتمع انتقل من مجتمع مغلق إلى مجتمع مفتوح أو من مجتمع ديكتاتورى أو مجتمع الحزب الواحد. كل هذه التغيرات لاتحدث فى حياة جيل واحد ، لكنها حدثت عندنا فى حياة جيل واحد .

●●● استعادة التوازن بعد انكسار الروح الوطنية :

● هذه التغييرات السريعة المتلاحقة فى أقل من ثلاثين سنة ، وأنت من هذا الجيل الذى تفتحت عيونه على ثورة ٢٣ يوليو وعاش هذه التغيرات المتلاحقة والهزات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية إلى يومنا هذا ، فماذا كان أثر هذه التغيرات عليكم كجيل ؟

ـ طبعاً أثرها أن هذا الجيل يعتبر أكثر الأجيال معاناة وأكثرها حيرة ، ويمكن هذا الذى جعل أولادنا يريدون تلمس رؤية حقيقية للأمور والواقع ، وأصبح هذا الجيل رافضاً لكل هذا ويبحث عن جديد . .

يعنى نحن أصبنا بالإحباط الوطنى سنة ١٩٦٧ وطبعاً نتج عن هذه المأساة انكسار فى الروح الوطنية والذى أدى بدوره إلى استفحال الروح الفردية حتى أصبح بعض الناس يقول : «أنا وبعدى الطوفان» وفقد بعض الناس الانتماء إلى الوطن كفكرة أو هدف أو مشروع قومى ، ثم استعدنا بعد ذلك توازننا بالتجربة الديمقراطية الموجودة وبإحساسنا بحرية القول وحرية الفعل .

● ويمكن انتصار سنة ١٩٧٣ عالج جراح النكسة ؟

ـ انتصار سنة ١٩٧٣ أو الأداء العظيم ، أنا أود أن أفرق بين انتصار سنة ١٩٧٣ وما بعده لأن الأداء العظيم للجندى المصرى وللمواطن المصرى سنة ١٩٧٣ أثبت مما لايقبل الشك أنه عند الأزمة يصبح الوطن كتلة من العمل الحقيقى والأداء الذى يرتفع إلى مستوى المسئولية ، والانتصار طبعاً خفف من وطأة الإحساس بالهزيمة أو انكسار الروح الوطنية أو الهوان الذى شعره المصريون ، لكن للأسف بعد انتصار سنة ١٩٧٣ لم يستمر نفس مستوى الأداء الذى تم على أرض المعركة فى المؤسسات المدنية .

● إذن روح أكتوبر التى دائماً مانتشدق بها لم تتخلل أوصال الحياة المدنية بنفس الأداء الرائع الذى كان بين أفراد القوات المسلحة ؟

ـ كان المفروض أن هذا الأداء ينتقل إلى كل موقع من مواقع العمل وإلى كل موقع من مواقع الإنتاج . طبعاً مازال أداء العامل المصرى

شريفاً وعظيماً فى كل مواقع إنتاجه ، لكن ما أريد أن أقوله إنها عجلة يجب أن تشمل كل المجتمع كمجتمع وتجعله يتجه نحو التقدم ، وهذا لايتحقق إلا بالإنتاج الذى بدوره يحقق دخلاً قومياً يكفينا لكى نستقل ونمتلك إرادة حرة عن بقية الدول .

لقد نجحنا فقط فى شىء واحد ولم نستثمر هذا النجاح . . أنا لست سياسياً . . كان المفروض أن يتحول هذا الأداء فى سنة ١٩٧٣ إلى مشروع قومى ننصهر فيه جميعاً ، وهذا ما جعل أولادنا الآن منفصلين عنا ، أو عن الحياة ، لم يعد هناك حلم قومى ، حلم الشباب الآن أصبح أن يمتلك مسكناً وسيارة ، فى حين أننا فى شبابنا وعندما كنا طلبة فى الجامعة لم نكن نسأل عن كم سنأخذ عندما نتخرج ، لكن عما سنصبح بعد التخرج ، طبيب ؟ مهندس ؟ ضابط ؟ أم أستاذ فى الجامعة ؟ ولكن الشباب الآن يتساءل عن كم سيتقاضى بعد تخرجه وهذا هو الفرق !

وهذا يعد خللاً اجتماعياً لابد من معالجته سريعاً ، ونعالجه ـ فى تصورى ـ بمشروع قومى ينتظم هؤلاء الشباب ، ونحن والحمد لله نمتلك ثروة ثقافية لاتقدر بمال ، فنحن نمتلك حوالى ٥٥٪ ـ ٦٠٪ من آثار العالم ، ومن الممكن استغلالها سياحياً أو ثقافياً أو غيره وغيره . ، عندنا أرض خصبة جداً على طول سيناء وعرضها ، أراضى تنتظر سواعد الشباب كى تزرعها ، كذلك الوادى الجديد ، ٤٥٪ من مساحة مصر ، أرض خصبة ، ولاتحتاج لزراعتها إلا أبسط الوسائل ، فإذا كانت سيناء محتاجة للمياه فعلى الدولة أن تحفر الآبار وتترك الأرض للشباب ليزرعوها

المياه موجودة فى باطن الأرض ، فنحن نمتلك كنوزاً من المياه الجوفية والتى ستصبح فى العقد القادم أهم كثيراً من البترول ، فمن يمتلك البترول اليوم هو الغنى ومن يمتلك المياه الجوفية غداً هو الأغنى وبهذا المفهوم نحن الأغنياء .

●●● أزمة المثقفين مع السلطة :

● الحقيقة أنها رؤية عامة ثرية جداً من الأستاذ الدكتور سمير سرحان، وأود أن أذكرك بما أنك تحدثت عن جيل ثورة ٢٣ يوليو الذى تنتمى إليه وهو جيل الخمسينيات والستينيات ، لعل حضرتك تذكر ما طرح فى الستينيات تحت عنوان «أزمة المثقفين» . . أسألك هل تقر بهذه التسمية لجيل الستينيات الذى عاصر أزمة المثقفين ؟ وإلى أين ترى هذه الأزمة قد وصلت ، هل اختفت أم مازالت موجودة ؟

ـ أنا لى رأى يمكن أن يكون غريباً ، ولم يتداول كثيراً ؛ إن ماسمى بأزمة المثقفين فى الستينيات كانت أزمة المثقفين مع السلطة ، بمعنى أن السلطة كانت تشك فى المثقفين فى الستينيات ، وكانت تعتبرهم فى موقف العداء، لماذا ؟ لأن المثقف بطبيعته لابد وأن يختلف مع الواقع ؛ المثقف حالم كبير لابد أن يحلم ، يحلم بماذا ؟ يحلم بمستقبل أفضل!! عندما جاءت الثورة تخيلت أنها حققت هذا المستقبل وانتهى ، ولم يعد هناك حلم نحلم به إلا استمرارية الثورة بشكلها الحالى ، لكن المثقف عندما اختلف مع الثورة فى البداية حتى من داخلها بدأت السلطة تشك

فى نواياه سواء كان هذا المثقف على يسار السلطة أو يمينها . وكما تعلم كانت هناك مصادرات لمسرحيات فى الستينيات وأنا أستطيع أن أذكر بعضها كمتخصص فى النقد المسرحى ؛ أكثر من مسرحية تحدثت ـ بالإسقاط السياسى ـ عن شخصية جمال عبد الناصر ، وكلها من واقع الحب له لكن فى إطار نقد لبعض أعماله أو سياساته خاصة فيما يتعلق بحرب اليمن مثلاً ، عندما نقدها عبد الرحمن الشرقاوى فى «الفتى مهران» أو فيما يتعلق بسياسات مثل توجيه الدولة أو شمولية الحكم فى الدولة أو حرية التعبير . فبدأ هذا التوجس ينشأ بين السلطة والمثقفين ولذلك نحن كلنا نذكر أنه فى بداية الثورة حدثت فجوة بين الثورة وبين مؤسسة ثقافية هامة جداً وهى الجامعة ، خرج بسببها كثير من أساتذة الجامعة فى إطار ماسمى بالتطهير فى الجامعة ، حيث تصورت الثورة أنهم غير مؤمنين بأفكارها ، . ولم يكن هذا عدم إيمان إنما هو استقلالية التفكير الجامعى التى تحتم ذلك على الأستاذ ، وإلا يصبح مدرساً وملقناً للتلاميذ ، لأن الأستاذ الحقيقى هو الذى يتمتع باستقلالية الفكر والتى تمكنه من تكوين رؤيته الخاصة لما يجرى على أرض الواقع . وما حدث أن الثورة كانت تريد فى البداية أن تطابق بين أفكارها وأفكار المؤسسات الثقافية سواء المؤسسة التعليمية أو المثقف ، ولما لم يحدث هذا والأمر قد وصل إلى درجة لا أريد القول بأنه وصل إلى المرحلة التى وصل إليها فى ألمانيا النازية عندما كان جوبلز وزير الإعلام عند هتلر يقول :

«عندما كنت أسمع كلمة مثقف أتحسس مسدسى» .

لكن ظل المثقف المصرى مؤمناً فى داخله بالثورة وأهميتها وبالتغير الاجتماعى الهائل الذى أحدثته الثورة ، لأنه بلا شك رغم هذا التوجس الذى قام بين المثقفين والثورة والذى سبب أزمة المثقفين ، ظلت الثورة أكبر حدث فى تاريخ مصر المعاصرة ، لأنها أدت إلى تحولات اجتماعية هائلة جداً يستفيد منها الآن جيلى وستستفيد منها الأجيال القادمة . . المؤسسات الثقافية والتعليمية والقلاع الصناعية التى قامت وكل هذا ، أنا تعلمت مستفيداً من مجانية التعليم فأنا رجل فقير ، ولو لم تكن الثورة كفلت لى مجانية التعليم فى الجامعة لم أكن لأتعلم ، ففرصة التعليم جاءتنى ولغيرى من الملايين عن طريق الثورة ، وبالتالى فإن الثورة أنتجت طبقة من التكنوقراط ومن المتعلمين ومن المتخصصين فى شتى أنواع التخصص . .

بالنسبة للمثقفين هذا الشكل تم مابين سنوات الثورة الأولى وحتى سنة ١٩٦٧ . ، بعد سنة ١٩٦٧ وبعد انكسار الروح القومية الذى حدث نتيجة الهزيمة فى الحرب ، أعتقد أن المثقفين أنفسهم بدأوا يشعرون بشيئين ؛ العجز عن المشاركة حتى لاتصل الأمور إلى هذه المأساة ، وهم أنفسهم انكسرت روحهم، وكثير منهم توقفوا عن الكتابة لسنوات مثل نجيب محفوظ . . الحركة النقدية نفسها توقفت ، الحركة الإبداعية أصبحت حركة سوداء ، أى أن الحلم تحطم ، والمثقف لايستطيع أن يعيش بدون حلم ، ظل الحال هكذا حتى وجدنا فى السنوات الأخيرة السلطة وقد بدأت تثق فى المثقفين ووجدنا على الأقل

احتراماً شديداً من جانب السلطة لدور المثقفين ، بدليل أن رئيس الجمهورية ، ولأول مرة ، يفتتح معرضاً للكتاب ، هذا من واقع تجربتى الخاصة ، لم يحدث ، قبل ذلك أن قام رئيس جمهورية فى مصر أو حاكم من مصر من عهد مينا وحتى عهد الرئيس الراحل أنور السادات أن يفتتح معرضاً للكتاب أو أى مناسبة ثقافية محضة غير الرئيس مبارك .

●●● تغير النظرة للمثقفين :

● الاستاذ دكتور سمير سرحان لقد أكدت أكثر من مرة خلال هذا الحوار أن المثقف بطبيعته إنسان يحلم بغد أفضل ولذلك لابد وأن يختلف مع الواقع مهما كان الواقع جميلاً لكن بالنسبة للمثقف المعاصر هل مازالت هذه الفجوة بين الحلم والواقع موجودة أم أنها زالت بحكم هذه المصالحة بين السلطة والمثقفين ؟

ـ نحن لانطلق عليها مصالحة وإنما احترام السلطة للمثقفين . . واعتماد السلطة على المثقفين كقوة مؤثرة فى المجتمع ، ما أريد قوله هو أننا لابد أن نفرق بين كون المثقف لايعانى من مشاكل مع السلطة الآن لأن هناك حرية رأى وحرية فكر واحترام من السلطة للمثقف ودوره ، ولكن أيضاً نفرق بين هذا كوضع للمثقف ودوره ، ولكن أيضاً نفرق بين هذا كوضع للمثقف فى المجتمع وبين الوظيفة التى يقوم بها المواطن المثقف أو دوره ، أى أن دوره يختلف عن وضعه ، فوضعه يحظى بالاحترام والثقة الكاملة ، وهناك ثقة متبادلة بينه وبين السلطة ، ففى

هذا العصر لم يكد قلم ولم يصادر رأى ، وكل شىء يقال بوضوح ، بل بالعكس فإن الحاكم الآن يسعى إلى أخذ رأى المثقفين فى بعض المشاكل ، ولايعتقد أنه المفكر أو العبقرى الأوحد ، يحترم التخصصات ويعى أن كل مشكلة لها لغة ، إنما على الجانب الآخر مازال المثقف يلعب دوره وعليه أن يلعب دوره بإصرار ، وهو أن يختلف مع الواقع أيضاً وينشد رؤى أفضل وهذه الرؤى مطلوبة من القرار السياسى لأن هذه الرؤى الأفضل من الممكن أن يبنى عليها قرار سياسى أفضل .

●●● الحرية + الأمان + السلام + الاستقرار = حلم د . سمير سرحان :

● هل نستطيع القول بأن ما طرحته من بعض الأفكار فى بداية الشهادة عن تغيير السلبيات الموجودة فى بعض الجهات والارتفاع بمستوى الأداء هذا جزء من حلم الأستاذ الدكتور سمير سرحان وجيله فى هذا العصر ؟

ـ هو أنا حلمى يمكن أحب أن ألخصه فى بعض نقاط :

الحق فى الحرية (حق المواطن) .

الحق فى الحياة آمناً سليماً على وطن مستقل .

الحق فى السلام بكل معانيه ، السلام السياسى والاجتماعى والسلام النفسى حتى فى داخلى .

الحق فى المساواة وهذا ينطبق على الرجل والمرأة وعلى عناصر الأمة المختلفة ، المساواة فى كل شىء .

الحق فى التعليم ، التطبيق العادل للمعرفة .

الحق فى الإعلام .

الحق فى الثقافة .

الحق فى المشاركة الفعالة فى تقدم الوطن .

● نستطيع أن نعتبر هذا دستوراً مصغراً ؟!

ـ هو هذا ، أنا أتصور أن العالم المعاصر يقوم على هذا ، وإلا فإن الدولة تتفكك والمواطن يتفكك . ونريد أن نقول إنه ليس كافياً أن تكفل الدولة بل لابد أن ينتزع المواطن هذه الحقوق ، . أن يتطابق جهد الدولة مع جهد الأفراد فى توفير هذه الحقوق ، وبالتالى سيصبح المجتمع فى حالة تفاعل وإنتاج .

●●● وزارة الثقافة وعاء لتنظيم الابداع :

● الأستاذ الدكتور سمير سرحان . . فى مقارنة سريعة نذكر دور الرواد والمثقفين والصالونات والباشوات والأمراء قديماً فى احتضان الفن والثقافة والمثقفين ، وبين مايحدث الآن من تجاهل من البعض لإبداع البراعم . . فهل من وجهة نظرك استطاعت وزارة الثقافة أو الدولة بوجه عام أن تحل محل محتضنى الثقافة والمثقفين من باشوات وأمراء قبل الثورة ؟

ـ هو هذا كان التصور من إنشاء وزارة الثقافة . . أى أن وزارة الثقافة لابد وأن تحل محل الجهود الخاصة سواء كانوا أمراء أو أثرياء ، كان

الأثرياء هم الذين يرعون الثقافة . . وكلنا نعرف أن محمود خليل هو الذى بنى هذا المتحف العظيم الذى نناقش الآن هل نبيع لوحاته أم لا ! وإن كان تقرر عدم البيع ، وهذا دور تاريخى يقوم به الأثرياء على المستوى الإنسانى حتى فى العالم كله ، من أول عصر النهضة حتى عصر الثورة الصناعية الأولى ، كان دائماً الأمير أو الثرى أو النبيل يحتضن الشاعر أو الرسام ويوفر له فرصة الإبداع ، يعنى لم يكن هناك مؤسسات تنظم الإبداع الثقافى ، عندما جاءت ثورة ٢٣ يوليو رأت أنه لابد من خلق وعاء ينظم الإبداع ويتيح له الفرص المختلفة، لأن وزارة الثقافة لاتصنع مبدعين ، وزارة الثقافة لاتكتب القصة أو المسرحية .

● **وإلا أصبح تأميماً للإبداع ؟**

ـ الإبداع هو عملية فردية فى الدرجة الأولى ، لكن لابد له من أوعية تشجعه وتوفر له الفرص ، تفتح له المتاحف ، المسارح ، القنوات ، هذه القنوات هى وزارة الثقافة . . وهى قناة تشجع الإبداع أو إظهاره أو بلورته ، طبعاً فى البداية كان من الممكن أن يكون دور الوزارة هو توجيه الإبداع . . وهذا هو الدور التقليدى الذى كانت تلعبه وزارات الثقافة فى العالم الاشتراكى فى الستينيات ، لكن فكرة وزارة الثقافة هى فكرة مقتبسة من الدول الاشتراكية ، ولذلك فإن كل الأبنية الثقافية الموجودة حالياً هى أبنية موجودة فى الستينيات ، بما فيها هيئة الكتاب .

أن يكون الكتاب خدمة ثقافية وليس سلعة ، هذه فكرة اشتراكية ،

أن تقام مؤسسة للثقافة الجماهيرية لنشر الثقافة العامة بين المحرومين سواء فى القرى أو النجوع ، هذه فكرة اشتراكية أيضاً ولذلك سميت بالثقافة الجماهيرية . . تأميم السينما فى الماضى لفرض سيطرة الدولة على الإنتاج السينمائى ليس فقط كفكر لكن لرفع مستواه، وألا يتركوه فى أيدى التجار وأيدى الناس الذين من الممكن أن يخربوا الوجدان العام بأفلام هابطة ، مخدرات وجريمة إلى آخره ،تحديد مستوى للفكر السينمائى بتدخل الدولة ، هذا فكر اشتراكى .

● كان هذا الطابع العام لهيمنة وإشراف وزارة الثقافة على الثقافة المصرية فى ذلك الحين . .

ـ الآن وزارة الثقافة تتطور لتصبح وزارة تشجيع الإبداع وإطلاق حرية الإبداع فى كافة المجالات دون فرض سياسة معينة أو أيدلوجية معينة ، إطلاق حرية الإبداع تظهر دائماً فى كل جيل ، يقول لك لماذا الجيل الجديد لايأخذ فرصته ؟ لأن أى مجتمع دائماً مايسيطر عليه طبقة من الحكماء أى المثقفين والراسخين ، وهم طبقة الخالدين الحكماء وهم الذين أخذوا فرصهم وأصبحوا رموز المجتمع . وعندما يكون عندنا فى مجتمع مثل مجتمعنا رموز بهذه الكثرة حيث أننا أغنى دول العالم الثالث بالرموز الثقافية فيصبح من الصعب على الجيل الجديد أن يظهر وسط كل هذه الرموز ، هنا يصبح واجب وزارة الثقافة أن توفر له هذه القنوات كل تخلق رموزاً جديدة تطاول الرموز القديمة . لكن لكى نخلق رموزاً جديدة فإنه بطبيعة الأمور وبطبيعة الوضع الإنسانى لابد وأن تختلف هذه

الرموز الجديدة مع الرموز القديمة أو تثور عليها وهنا يصبح فى المجتمع شىء من المقاومة لفكرة أن ندمر أو نحطم أو حتى ننقد الرموز القديمة .

●●● التليفزيون آه من التليفزيون :

● أستاذ دكتور سمير سرحان فى خضم تعدد ظواهر هذا العصر ، التقدم العلمى المذهل التكنولوجى والثورة التكنولوجية وأنت قد أشرت إلى الكمبيوتر ولم تشر من قريب أو بعيد إلى التليفزيون وكأنك تتجاهل المنافس الأول للكتاب أو الذى جعل الكتاب ـ للأسف الشديد ـ يتراجع فى هذا العصر أمام سحر التليفزيون ؟

ـ أود أن أقول إن التليفزيون جزء من الثورة التكنولوجية ، بل هو جزء هام جداً منها لأنه جهاز توصيل المعلومات بشكل سريع جداً وبشكل جماهيرى جداً وليس هناك منافسة بين الكتاب والتليفزيون ، أو المفروض ألا يكون ، لعدة أسباب ، لأن الكتاب سيظل على مدى البشرية هو الوسيلة الوحيدة المتعمقة ، وهو الوسيلة الوحيدة أيضاً أو يكاد يكون الوسيلة الوحيدة للتعليم ، لأنك فى التعليم لن تقدر على الاستغناء عن الكتاب سواء فى المدرسة أو فى الجامعة أو فى البحث العلمى ، إذن الكلمة المطبوعة ستظل لها احترامها فى الثقافة العامة ، وإن كان الكتاب يتراجع بعض الشىء لأنك تعطى للفرد صندوقاً سحرياً بالصوت والصورة واللون وعناصر الجذب المختلفة ، بحيث يستطيع أن يجلس

أمامه ويتلقى تلقياً سلبياً ، أما القراءة فهى نوع من التلقى الإيجابى ، لأنك تبذل مجهوداً . . ولا تستخدم حاسة واحدة وهى البصر ، ثم إنك تعيد خلق المادة المقروءة فى ذهنك ، إذن أنت هنا مشارك لامتلقٍّ ، تعيد خلق الفكرة ، أما الصورة فتعطى لك الصورة مجسدة ، كاملة ، وفى زحام الحياة الحديثة والمواصلات الصعبة وكل معطيات الحياة ؛ اليوم الذى يبدأ وينتهى بمنتهى االسرعة لازدحامه بكثير من الأشياء يكون الإنسان فى حاجة إلى التلقى السلبى ، إلا إذا كان يتعمد تثقيف نفسه فى مجال من المجالات ، هذا عن خطورة التليفزيون على القراءة ، لكن إذن من الممكن استخدام التليفزيون استخداماً جيداً إما بالتشجيع على القراءة وإما فى إعادة القارىء إلى الكتاب ،واستعادته للكتاب .

● **كيف ؟**

ـ كثير جداً من الناس لم يكونوا يعرفون زكى نجيب محمود وكانوا عندما يجدون مقالاً له فى الأهرام لايقرأونه ، يمكن لطوله أو لصعوبة أفكاره ، كثير من كتبه موجودة وبها هذا الفكر العظيم لكن توزيعها محدود ، لكن عندما ظهر زكى نجيب محمود على الشاشة فى ساعة كاملة وقدم أفكاره فى هذه الشكل السلس الواضح ، قال لى ناشره أن مبيعاته زادت منذ ذلك الحين أضعافاً مضاعفة ! إذن الفكر ممكن أن يصل عبر التليفزيون فيحث المشاهد على البحث عن هذا الفكر فى الكتب ، إذن هنا التليفزيون يعيد القارىء للكتاب .

● **مثال آخر هو روايات الكاتب الكبير نجيب محفوظ عندما عرضت على شكل أفلام أو مسلسلات ؟**

ـ نفس الفكرة ، أنا ابنى اشترى الأعمال الكاملة لنجيب محفوظ وقرأها ، وعندما تصبح المتعة متعة ، متعة استشعار العمل الفنى كفكر وكلغة وكصور فنية وشعرية . . طبعاً أعود وأقول إن العملية التعليمية تقع عليها المسئولية الكاملة فالمفروض أن نحبب أطفالنا فى الشعر من خلال الكتاب المدرسى بدلاً من :

مكرٌّ مفـرٌّ مقـبلٌ مدبرٌ معـاً كجلمود صخر حطه السيل من عل

وهذه قصيدة عظيمة لكن لاتحبب الطفل المصرى فى الشعر ، المفروض أن أحببه أولاً فى الشعر ثم أعطى له هذا الشعر الصعب .

● **هو كان هناك اقتراح من أحد كبار المفكرين وهو أن نعكس العملية فنحن نبدأ مع الطفل من العصر الجاهلى ونتدرج معه حتى نصل إلى العصر الحديث ، والمفروض العكس وهو أن نبدأ أولاً بالشعر الحديث وننتهى بالشعر الجاهلى فى آخر مراحل الدراسة ؟**

ـ وكذلك فى الرواية والقصة وكل فنون القول حتى لا أُكْرِهَ الطفل فى أعمالنا العظيمة . وأنا آسف أن أقول إن بعض الآيات القرآنية ـ وكلها عظيمة ـ التى تختار فى حصص الدين لايتناسب مع المرحلة العمرية للطفل . أى إذا أعطينا له الآيات التى تتعلق بالزواج والحمل .

● **وهذه تكون صعبة على إدراك الطفل الصغير ويكون الأفضل لو بدأنا بالآيات الكونية مثلاً ؟**

ـ أجمل شىء فى القرآن ـ والقرآن كله جميل ـ أن تقدم للطفل قصص القرآن، قصة سيدنا يوسف وسيدنا موسى والتى تجعل الطفل يحب دينه، لغته ، ورموز حضارته الوطنية والدينية .

● **ومن السهل أن يفهمها ، والمهم أن د . سمير سرحان فى النهاية لايخشى على الكتاب من متغيرات ومن منجزات ثورة العلم والتكنولوجيا وتغيرات العصر ؟**

ـ لا إنما العصر أيضاً بدأ يشد الكتاب إليه ، الآن أصبح هناك كتاب كامل على «ديسك» فالكتب أصبحت لاتطبع على ورق فقط وإنما تحفظ على Computer Discs وستظل الكلمة المكتوبة كخلق فكرى هى سيدة الموقف .

●●● شهادة فى سطور :

ـ هو عصر رائع مضطرب مرّ بتحولات عظيمة ، وأصيب بإحباطات عظيمة ، وأنجز إنجازات عظيمة !

obeikandl.com